مدارس التفسير وأثرها
في اختلاف المفسرين

د.علي محمد محمود محمد
أستاذ التفسير بعمادة تعليم القرآن الكريم ومطلوبات الجامعة
بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدي ونوراً، وأرسل به رسوله ليكون للعالمين نذيراً، حمداً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه وأصلى وأسلم على صفوة رسله وأنبيائه محمد ρ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد..

فإن القرآن هو معجزة الإسلام الخالدة، ومصدر التشريع الأول، أنزله الله هدى ورحمة للعباد، وتبياناً لكل شيء، وتفصيلاً لكل مسلم في الدين والدنيا والآخرة، ولقد أكد المعصوم –عليه الصلاة والسلام- مراراً وتكراراً على هذه المعاني بقوله: "تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي"[1].

لذا كانت العلوم المرتبطة بهذا الكتاب العظيم، والبحث فيه من أجل العلوم وأشرفها، ولم يزل علماء الأمة في نهم دائب من أجل فهم معاني القرآن، وأحكامه، وقصصه، وكل ما يتعلق به، فمعينه لا ينضب أبد الدهر، وإن دراسة القرآن أشرف ما ينفق فيها، وينافس فيها أصحاب العلم والمروءات، لأن القرآن هو حياة القلوب، ونور العقول، ولقد من الله على هذه الملة بعلوم كثيرة مستفادة من القرآن الكريم، يأتي في مقدمتها علم التفسير الذي هو مفتاح الكنوز والذخائر التي احتواها كتاب الله المجيد، المنزل لإصلاح البشر وإنقاذهم.

بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهداف البحث فيه:

إن موضوعاً كهذا لمن الأهمية بمكان وهو مما يجب أن تشمر له السواعد ، ويستفرغ فيه الوسع، ويستجمع فيه الأذهان، فإن أقوال الرعيل الأول في تفسير القرآن الكريم تقدم على غيرها لما تميزوا به من عفة وورع وسلامة معتقد ، ومعرفة أسباب النزول .عليه: فإن أهمية الموضوع تتلخص في التالي:

1/ أنه يجمع بين التفسير بالمأثور والرأي.

2/ أن الطالب الباحث يتعرف على أقوال علماء الرعيل الأول.

3/أنه يوصل الباحث إلى دواعي الاختلاف وأصوله.

4/أنه يعرف به مدى تأثير المدرسة في أفكار الدارسين.

5/أنه يدرك قدر الجهد المبذول من سلف الأمة من المفسرين.

ولقد أوجد الله في هذه الأمة رجالاً أوقفوا حياتهم لحفظ شريعة ربهم، والذود عنها، فأفنوا في ذلك زمانهم، واستوقفوا فيه جهدهم، فحفظت بهم الرسالة، حتى

(1) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين بن علي بن حسام الدين المتقي الهندي (ت: 975هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1399هـ-1979م، باب الاعتصام بالكتاب والسنة، ح(876)، 173/1.

وصلت كما أنزلها الله تعالى، لا اعوجاج فيها ولا انحراف، فهم دعامتها وحماتها، ولم يكن لهم غاية من ذلك إلا ابتغاء رضوان الله تعالى، فرضي الله عنهم وبلغهم مناهم، ولذا كان من الواجب علينا أن نعرف سيرتهم، ونقف على مسالكهم، وننظر في آرائهم، فننهل من معينهم الصافي الذي لا كدر فيه، وننهل من زلال نبعهم الفياض الذي لم تشوبه شائبة، فهم خير القرون بعد قرن رسول الله ρ وأصحابه الكرام يقول الحق سبحانه وتعالى: چ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ چ[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية [2] عن هذه الآية: فجعل التابعين لهم بإحسان مشاركين لهم فيما ذكر من الرضوان والجنة، وقد قال تعالى: چ ئو ئو ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ چ[3]. فمن تبع السابقين الأولين كان منهم، وه م خير الناس بعد الأنبياء، فإن أمة محمد ρ خير أمة أخرجت للناس، وأولئك خير أمة محمد ρ، كما ثبت في الصحاح من غير وجه أن النبي ρ قال: ((خير القرون القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم))[4]. ولهذا كان معرفة أقوالهم في العلم والدين وأعمالهم خيراً وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم في جميع علوم الدين وأعماله، كالتفسير وأصول الدين، وفروعه والزهد، والعبادة، والأخلاق، والجهاد وغير ذلك.

أسباب اختيار الموضوع:

لفت أنظار الناس إلى ما كان عليه سلفنا الصالح من الاعتناء بالقرآن الكريم وعلومه، وشحذ همم الباحثين والدارسين إلى مثل هذا النوع من التفسير.

ولما للتفسير من شرف وسمو لاتصاله بكتاب الله تعالى وبيان ما فيه من الهداية والأحكام، إذ إن شرف العلم على قدر شرف المعلوم، فكلام الله هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة.

---

(1) سورة التوبة، الآية: 100.

(2) ابن تيمية هو أحمد عبد الحكيم بن عبد السلام ابن تيمية الحران الدمشقي تقي الدين أبو العباس الإمام المحقق المفسر الأصولي، من كبار علماء الحنابلة، له مؤلفات منها: (الصارم المسلول على شاتم الرسول، والسياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية)، ولد 661هـ، توفى 727هـ، البداية والنهاية لابن كثير 135/4.

(3) سورة الأنفال، الآية: 75.

(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد 151/3، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة 1964/4، والترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب ما جاء في القرن الثالث 500/4.

ولقد حملت لنا تلك الحقبة الزمنية خبرة المفسرين، فرغبت في دراسة آثارهم للتعرف على مسالكهم، فهم الذين ذللوا هذا الطريق، وتركوا فيه معالم خير وهدي للسالكين، فأردت أن أقتبس من أنوارهم، وأقتطف من أزهارهم، وأل ـقط من نثارهم، وأقيد من شواردهم، وانتقي من فرائدهم، و أنظر في مسالكهم، واقتفي آثارهم، لتكون اللبنة الأولى في تسهيل الطريق أمامي لمعرفة كتاب الله، وضبط خطابي على أصول علمية دقيقة أتأسى فيه ا بذلك الجيل، وأقرأ تراثهم مرات ومرات، وأع يد النظر في منتقاه كرات.

سعة الموضوع وتنوع مباحثه، وتعدد مداخله، وتداخل علومه، مما يتيح لي فرصة الوقوف على جل علوم القرآن الكريم، والرجوع إلى أمات كتب التفسير، والاطلاع على أهم مصادر علوم القرآن، والمقارنة بين تفاسير الأئمة والوقوف على أقوالهم، ورصد مناهجهم المختلفة لاختلاف مداركهم ومفهومهم، فإن لكل واحد منهم وزنه وقدره.

طرافة الموضوع وجدته، فإنه لم يتعرض للخوض فيه إلا النذر القليل، على أن من تعرض له ينأى بنفسه عن الغوص في أهم مزية في الموضوع، وهي عقد المقارنات، وبيان أوجه الاختلاف والاتفاق.

فكان من الأسباب عدم إفراد هذا الموضوع بدراسة مستقلة من قبل الباحثين المعاصرين، فأردت أن أشارك بالجهد القليل، وأسهم في خدمة تاريخ التفسير فكانت هذه الدراسة.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

1- جمع مادة علمية وتقديمها في كتاب واحد، حتى يسهل للطلاب والدارسين تناولها، والرغبة للإسهام في خدمة كتاب الله تعالى.
2- الوقوف على الذخيرة الكبرى التي تركها لنا علماء ومؤسسو مدارس التفسير.
3- إثراء المكتبة الإسلامية بمثل هذا النوع من التفسير.

منهج البحث:

طبيعة البحث تتطلب استخدام المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي.

هيكل البحث:

يشتمل هيكل البحث على: مقدمة وفيها بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهداف البحث فيه و أسباب اختيار الموضوع ومنهج البحث .

المبحث الأول: مفهوم علم التفسير ونشأة مدارسه

المبحث الثاني: نشأة علم التفسير وتطوره

المبحث الثالث: نشأة مدارس التفسير
المبحث الرابع: اختلاف المفسرين تطبيقاً على سورة النجم
الخاتمة

المبحث الأول
مفهوم علم التفسير ونشأة مدارسه

التفسير لغةً واصطلاحاً:

التفسير في اللغة: الإيضاح والتبيين [1]، ومنه قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ.[الفرقان : 33] وقال مناع خليل القطان: (التفسير في اللغة: تفعيل من فسر بمعنى الإبانة والكشف وإظهار المعنى المعقول، وفعله كضرب ونصر، يقال: فسر الشيء يفسر بالكسر ويفسره بالضم فسرُ، وفسره: أبانه، والتفسير والفسر: الإبانة وكشف المغطى)، وفي لسان العرب: الفسر كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، وقال ابن عباس: في قوله تعالى: أي تفصيلاً، وقال بعضهم: (هو مقلوب من سفر)، ومعناه أيضاً: الكشف، يقال: سفرت المرأة سفوراً، إذا ألقت خمارها عن وجهها، وهي سافرة، وأسفر الصبح: أضاء، وإنما بنوه على التفعيل، لأنه للتكثير، كقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ [البقرة : 49] . وقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ [يوسف : 23] فكأنه يتبع سورة بعد سورة، وآية بعد أخرى، وقال الراغب[2]: الفسر والسفر يتقارب المعنى المعقول، وجعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار، فقيل سفرت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح[3].

وقال محي الدين بلتاجي: التفسير في اللغة هو تفعيل من الفسر الذي هو الكشف والبيان، وفسر الشيء بالكسر، ويفسره بالضم فسراً: أبانه [4]، والتفسير كشف

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، ط 4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1423هـ-2002م، 6/2.
(2) الراغب هو: الحسين بن محمد الراغب، أبو القاسم الأصفهاني، أحد أعلام العلم، ومشاهير الفضل، له تصانيف كثيرة، منها كتب تفسير القرآن، (ت: 402هـ)، انظر معجم الأدباء، أبو عبد الله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ-1991م، ص229.
(3) مباحث في علوم القرآن، المناع القطان، ط10، مكتبة وهبة، القاهرة، 1417هـ-1997م، ص316-317.
(4) دراسات في التفسير وأصوله، محي الدين بلتاجي، ط 1، مطابع دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1406هـ-1986م، ص7.

المراد عن اللفظ المبهم[1].

التفسير في الاصطلاح:

عرفه أبو حيان [2] بأنه: "علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك، ثم خرج التعريف، قال: فقولنا: "علم" هو جنس يشمل سائر العلوم، وقولنا: "يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن" هذا هو علم القراءات، وقولنا: "مدلولاتها" أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، هذا يشمل علم التصريف وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، يشمل ما دلالته عليه بالحقيقة، وما دلالته عليه بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضى بظاهره شيئاً ويصد عن الحمل على الظاهر صاد، فيحتاج لأجل ذلك أن يعمل على غير الظاهر، وهو المجاز، وتتمات لذلك، هو معرفة النسخ وسبب النزول، وقصة توضيح بعض ما أبهم في القرآن ونحو ذلك"[3].

وقال الزركشي: التفسير في الاصطلاح: "علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ρ وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه"[4].

وقال الزرقاني: "التفسير في الاصطلاح: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، والمراد به علم المعارف التصورية، لأن المقصود منه تصور معاني ألفاظه، وذلك من قبيل التعاريف، لكن أكثرها بل كلها من قبيل التعاريف اللفظية، لأن التفسير من قبيل التصديقات، لأنه يتضمن حكماً على الألفاظ بأنها مفيدة لهذه المعاني التي تذكر بجانبها في التفسير، وكونه يبحث عن أحوال القرآن خرجت العلوم الباحثة عن أحوال غيره، ومن حيث

(1) انظر: لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفحي الأفريقي، (ت: 711هـ)، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ، (مادة فسر) 361/6.

(2) أبو حيان هو: النحوي الشيخ الإمام عالم القراء أستاذ النحاة والأدباء جمال المفسرين، أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الجياني الغرناطي، ثم المصري الظاهر، ولد بأعمال غرناطة، قاعدة بلاد الأندلس في شوال 654هـ (ت: 745هـ)، انظر: معرفة القراء الكبار، محمد بن أحمد عثمان بن قيماز الذهبي، ط دار الرسالة، بيروت، 1404هـ، 723/2.

(3) مباحث في علوم القرآن، مناع خليل القطان، ط 13، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، القاهرة، (ب.ت)، ص317.

(4) البرهان في علوم القرآن، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (745-794هـ)، ط1، دار المعرفة، بيروت، 174/2.

دلالته على مراد الله تعالى: العلوم التي تبحث عن أحوال القرآن الكريم"[1].

من جهة غير جهة دلالته، كعلم القراءات ، فإن يبحث عن أحوال القرآن من حيث ضبط ألفاظه وكيفية أدائها، ومثل علم الرسم العثماني فإنه يبحث عن أحوال القرآن الكريم من حيث كيفية كتابة ألفاظه، وخرج بهذه الحيثية –أيضاً- المعارف التي تبحث عن أحوال القرآن من حيث أنه مخلوق أو غير مخلوق، فإنها من علم الكلام، وكذلك المعارف الباحثة عن أحوال القرآن من حيث حرمة قراءته على الجنب ونحوها، فإنها من علم الفقه، بقدر الطاقة البشرية، لبيان أنه لا يقدح في العلم بالتفسير عدم العلم بمعاني المتشابهات، ولا عدم العلم بمراد الله في الواقع ونفس الأمر[2].

يقول محي الدين بلتاجي في تعريف التفسير في الاصطلاح: "إنه علم يعرف به نزول الآيات، وشؤونها، وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها، ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها، ومقيدها، ومجملها، ومفسرها، وحلالها، وحرامها، ووعدها، ووعيدها، وأمرها، ونهيها، وأمثالها وغيرها"[3].

والتأويل مرادف للتفسير في أشهر معانيه اللغوية: قال صاحب القاموس [4]: "أول الكلام تأويلاً وتأوله: دبره وقدره وفسره، ومنه قوله تعالى: چ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ چ. [آل عمران : 7] وكذلك جاءت آيات كثيرة فيها لفظ التأويل".

أما التأويل في اصطلاح المفسرين كقول مجاهد: "إن العلماء يعلمون تأويله، (يعني القرآن)، وقد سمي ابن جرير تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن"[5].

والتفسير والتأويل واحد وهو كشف المراد عن المشكل، والتأويل رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر.

واختلف أهل التأويل في هذه الآية، بعضهم يرى أن التفسير يخالف التأويل

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن، 6/2.
(2) مناهل العرفان في علوم القرآن، المرجع السابق،6/2.
(3) دراسات في التفسير وأصوله، محي الدين بلتاجي، ص 7. وانظر: كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، الهيئة العامة للكتاب، تحقيق: علي دحروج، ترجمة عبد الله الخالدي، جورج ريتاني، مكتبة لبنان، بيروت، 1996م، ص33.
(4) انظر: القاموس المحيط، العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (ت: 817هـ)، تحقيق: مكتب التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1419هـ-1998م، 456/1.
(5) مناهل العرفان في علوم القرآن، 266/2.

بالعموم والخصوص فقط، ويجعل التفسير أعم مطلقاً، وكأنه يريد من التأويل بيان مدلول للفظ بغير المتبادر منه لدليل، ويريد من التفسير بيان مدلول للفظ مطلقاً، أعم من أن يكون بالمتبادر أو بغير المتبادر، ويقول الراغب الأصفهاني: "التفسير أعم من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل في الكتب الإلهية وغيرها.

وبعضهم يرى أن التفسير مباين للتأويل، حتى إن بعضهم بالغ في هذا المذهب حتى عاب على من لم يفرق بينهما، قال ابن حبيبة النيسابوري: نبغ في زماننا مفسرون ولو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه، فالتفسير هو القطع بأن مراد الله كذا، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون قطع.

والذي يميل إليه الباحث من كلام الراغب الأصفهاني أن التفسير أعم من التأويل وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، لأمور منها، قوله:

- إن التأويل يستعمل في الكتب الإلهية.
- والتفسير يستعمل في الكتب الإلهية وغيرها.
- قول ابن حبيبة النيسابوري نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه.
- قوله: "فالتفسير هو القطع بأن مراد الله كذا، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون قطع" والله أعلم.

المبحث الثاني
نشأة علم التفسير وتطوره

لما كان التفسير هو توضيح معنى نص أشكل فهمه، أو هو مجموع القواعد العلمية لفهم النص، وأظهر القول أن التفسير ينشأ مع نشوء النص الذي يبهم فهمه،

فمنذ عرفت الإنسانية التدين القائم على كتب دينية يحترمها أهلها، ويخضعون لها ووجهت بمشكلة تفسير هذه الكتب[1]. وقد سبق المسلمين غيرهم من الأمم حيث وجدت كتب مقدسة عند أصحابها، منها ما ذكرها القرآن الكريم كالتوراة، والإنجيل، والزبور، ومنها ما لم يرد ذكر فيه، ككتاب (الموتى) عند قدماء المصريين، وكتاب (الفيد) عند الهنود، وكتاب (الزمزمة والزند) عند الفرس. وأقدم محاولة للتفسير تلك التي قام بها قدماء المصريين محاولين فهم طلب الآلهة الذين يسيطرون على العالم، ثم تلاهم الهنود وفسروا كتابهم (الفيد) إذ فسره (بسكر الكشميري)[2].

وكذلك فعل الفرس إذ فسر زرادشت [3] كتابه وسمي التفسير (الزند) ثم فسر الزند بكتاب أسماه (بازند) ولم تختلف الكتب التي ذكرها القرآن الكريم عن نوال حظها من التفسير كسابقاتها، فقد فسر اليهود التوراة عدة مرات تفاسير مختلفة، وكذلك فعل كليمنس[4]، إذ فسر الإنجيل تفسيرات تختلف عن بعضها باختلاف اتجاهات المفسرين، فيعتبر التفسير ظاهرة تأتي من تلقاء نفسها، ثم تبين الأسباب التي دعت إليها في عدم فهم النص، ولم يكن القرآن الكريم بأقل في دواعي التفسير من الكتب التي سبقته، فإن الاهتمام بالقرآن الكريم بدأ واضحاً من حين نزوله، كما أن الرسول ρ كان يعتمد على

(1) التفسير في الكتب المقدسة والقرآن، أحمد السيد خليل، ط 1، الوكالة الشرقية للثقافة في الإسكندرية، 1373هـ-1954م، ص10.

(2) بسكر الكشميري: من أجلاء البراهمة وتفسيره ببذ، وتفسيره العلم بما ليس معلوم وهو كلام نسبوه إلى الله من فم براهم، ويتلوه البراهما تلاوة من غير أن يفهموا تفسيره، وتفسيره ببذ وتحريره بالكتبة، واحتمل من الوزر ما= =كان يشرح عنه غيره إشفاقاً عليه أن يسنى ليضيع عن الخواطر، وذلك لما رأى من فساد نيات الناس، وقلة رغبتهم في الخير، تحقيق (ما) للهند، البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، عالم مسلم كان رحالة وفيلسوفاً وفكياً وجغرافياً في العصر العباس، أصله فارسي، مصدر كتاب موقع الوراق، الموسوعة الشاملة www.alwarraq.com

(3) زرادشت، زرادشت بالافستيه Zaradustra هو مؤسس الديانة الزردشتية، وقد عاش في مناطق أزربيجان وكردستان وإيران الحالية، وظلت تعالميه وديانته هي المنتشرة في مناطق واسعة وسط آسيا إلى موطنه الأصلي إيران، حتى ظهور الإسلام.

(4) كليمنس فون برنتانوا، هو روائي وشاعر ألماني، ولد عام 1778م في دينة أيرنبر وتوفى 1842م، انظر: عصور الأدب الألماني (تحولات الواقع ومسارات التجديد)، باربارا باومان، وبريجيتا أوبرله، منشورات عالم المعرفة، العدد 278، 2002م، ص210.

القرآن في الدعوة إلى الإسلام اعتماداً كلياً، ولم يستعمل معه الخطب المحببة بالدين الجديد إلا نادراً، وكان تأثير القرآن الكريم في المشركين الذين أرسل إليهم الرسول الكريم محمداً ρبه أكثر من تأثير أي كلام غيره[1].

والقرآن الكريم واكب الدعوة الإسلامية منذ نشأتها ببعثة الرسول الكريم محمد ρ إلى حين وفاته عليه الصلاة والسلام، فاستغراقه لهذه الفترة التي تبلغ ثلاثة وعشرين عاماً مدعاة لحدوث معانٍ جديدة، بتجدد الظروف والظواهر الاجتماعية، وخاصة تلك التي أوجدها القرآن الكريم وظهور الإسلام، هذه الدواعي وغيرها استوجبت شرح القرآن الكريم وتوضيحه وتفسير نصوصه، ولو أن القرآن لا يحتاج في تلك الفترة إلى التفسير احتياجاً كلياً لأن الناس تفهم نصوصه إجمالاً وهو المعنى الذي عناه القرآن، وتفاوت الناس في فهم القرآن هو عبارة عن اختلاف في تفسيره في أذهانهم يلائم نظرة كل فكر للنص، وما تمليه عليه ثقافته ومستواه العقلي، واستيعابه له وهضمه، ونشأ التفسير عند نزول القرآن الكريم علماً وعملاً، فكان منهج الرسول ρ وسلوكه، وتربيته لأصحابه منهجاً عملياً لتفسير القرآن، كما أنه ρ كان يشرح لأصحابه ما خفي عليهم من كلمات القرآن الكريم، فقد روي عن أبي عبد الرحمن السلمي [2] أنه قال:

(1) أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي، مساعد مسلم عبد الله آل جعفر، ط 1، 1405هـ-1984م، ص51-53.

(2) أبو عبد الرحمن السلمي، هو عبد الله بن حبيب السلمي الكوفي القارئ، تابعي جليل قرأ القرآن على عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأقرأ القرآن أربعين سنة، مات بضع وسبعين، وقيل سنة خمس ومائة عن سبعين سنة، انظر: طبقات الحفاظ، لجليل الدين عبد الرحمن السيوطي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ، ص19.

(حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وغيرهما رضي الله عنهم أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ρ عشر آيات لم يجاوزها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً)[1].

نشأ تفسير القرآن الكريم مع نزول القرآن نفسه، وكان أول من تولى ذلك هو رب العزة نفسه، فقد كانت بعض الآيات تنزل وفيها نوع من الإجمال أو الإشكال على بعض الصحابة، فتنزل آيات أخرى تتولى شرحها، وأمثلة ذلك كثيرة[2].

أ/ ما رواه البخاري والترمذي عن زيد بن ثابت أن رسول الله ρ أملى عليه: چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ چ [النساء : 95] إلى آخرها فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملي عليه فقال: يا رسول الله! والله لو استطيع الجهاد لجاهدت، وكان أعمى، فأنزل الله على رسوله ρ وفخذه على فخذي، فثقلت عليَّ حتى خفت أن ترض فخذي، ثم سري عنه، فانزل الله چ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ چ[3] .

ب/ أنزل الله عز وجل في أول سورة النساء آيات الميراث، وفيها ذكر الكلالة، وكان ذلك مما أشكل على الصحابة فهمه، حتى قال عمر رضي الله عنه فيما رواه مسلم ثلاثة وددت أن رسول الله ρ عهد إلينا فيها: الجد، والكلالة، وأبواب من الربا[4]. فأنزل الله في آخرها قوله تعالى: چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ چ.[النساء : 176] ولذلك أحال النبي ρ الذي سأله عن الكلالة على هذه الآية، فقال: ρ أما سمعت الآية التي نزلت في الصيف: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ

(1) مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين ابن تيمية، تحقيق: عدنان زرزور، ط مؤسسة الرسالة، ودار القرآن، بيروت، لبنان، 1392هـ-1973م، ص36.
(2) دراسات في أصول التفسير، محمد كبير يونس، ط1، دار الأمة، 1425هـ-2005م.
(3) صحيح البخاري، باب قول الله تعالى: چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ چ ح(2676)، 179/3.
(4) موطأ الإمام مالك، باب ميراث الكلالة، حديث رقم (1079)، 437/3.

پ پ)[1] ثم إنه سبحانه وتعالى أمر رسوله ρ ببيان ما أنزل إليه من هذا القرآن، بعد أن تكفل سبحانه لرسوله ببيان معانيه له قال تعالى: چئې ئى ئى ئد ى ى ي ي ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تحچ [القيامة 16-19] .

وقال تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ چ.[النحل : 44] وقد قام النبي ρ بمهمته في بيان معاني القرآن الكريم وتفسيره لصحابته، على أتم وجه فبين مجمل القرآن، وشرح مشكله، وخصص بعض عامه، وقيد بعض مطلقاته، وشرح بعض ما يحتاج إليه الصحابة من ألفاظه وجمله[2].

المبحث الثالث

نشأة مدارس التفسير

انطلق أصحاب النبي ρ من المدينة إلى الأمصار المفتوحة، عقب الفتوحات الإسلامية، ونشأة المدن الجديدة، وهم يحملون من العلم ما عرفوا من كتاب الله تعالى، وما أثر عن نبيه صلوات الله وسلامه عليه، وأداه إليهم اجتهادهم. هذا الذي تلقوه والذي توصلوا إليه إلى من بعدهم، وجلس الناس إليهم يتلقون عنهم، وهذه الطبقة التي أخذت عن الصحابة أخذاً مباشراً سمي رجالها بالتابعين، ومن هذه المجالس العلمية نشأت في المدن الجديدة والمفتوحة مدارس علمية أساتذتها الصحابة رضوان الله عليهم، وتلامذتها التابعون، وكان من هذه المدارس ما يغلب عليه التفسير، ومنها ما يغلب عليه الفقه، ومنها ما يجمع بين الاثنين بدرجة واحدة[3].

لما أرسل الله نبيه محمداً ρ رحمةً للعالمين، وأنزل كتابه الذي هدى به من اتبع رضوانه سبل السلام، وأخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، وهداهم إلى صراط مستقيم، وسعد المسلمون بهذا الكتاب، وأيقنوا بصدق أنه چث ث ڈ ڈچ[الإسراء : 9] وأنه حبله المتين، وكتابه المبين، لا يشبع منه العلماء، ولا تنقضي عجائبه، فأخذوا في تدبره وتعلمه، والوقوف على ما فيه من مواعظ، وعبر.. ثم أخذوا في دعوة الناس إليه، وتعليمهم إياه ولاسيما بعد أن تتابعت الفتوحات الإسلامية، واتسعت ودخل الناس في دين الله أفواجاً، فانتشر صحابة رسول الله ρ بين الناس، يعلمونهم دينهم، وكتاب ربهم، ومما لاشك فيه أن هؤلاء الصحب الكرام رضوان الله عليهم لم يكونوا في درجة

(1) دراسات في أصول التفسير، ص17.
(2) دراسات في أصول التفسير، ص18.
(3) دراسات في التفسير وأصوله، ص41.

علمية واحدة بالنسبة لفهم معاني القرآن، بل كانت مراتبهم متفاوته ومن تفاوتت طرائقهم المنهجية التي ساروا عليها في تعليم الناس.

يقول مسروق: لقد جالست أصحاب محمد ρ فوجدتهم كإخاذ، فالإخاذ يروي الرجل، والإخاد يروي الرجلين والإخاذ يروي العشرة، والإخاذ يروي المائة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم[1].

وكان من أولئك الذين لو نزل بهم أهل الأرض لأصدرهم ثلة من الصحابة رضوان الله عليهم، وأشهرهم كما يقول عامر الشعبي: "كان علماء هذه الأُمّة بعد نبيها ρ ستة: عمر، وعبد الله ، وزيد بن ثابت، فإذا قال عمر قولاً، وقال هذان قولاً كان قولهما لقوله تبعاً، وعلي وأبي بن كعب، وأبو موسى الأشعري، فإن قال علي قولاً وقال هذان قولاً كان قولهما لقوله تبعاً [2]. وقد قيض البعض هؤلاء الأئمة من الأصحاب تلاميذ، اختصوا به ولازموه وأخذوا بقوله، ونشروا علمه، وتيسر له من هذا، ما لم يتيسر لآخرين، ومن هنا نجد بدايات الظهور لتلك المدارس، التي كان الصحابة أساتذتها، والتابعون روادها، فنهلوا من معين علمهم الصافي، ثم فاضوا بالخير العميم على الناس من بعدهم، يقول علي بن المديني [3]: لم يكن من أصحاب النبي ρ من له أص حاب يذهبون مذهبه، ويفتون فتواه، ويسلكون طريقته، إلا ثلاثة:

(1) طبقات ابن سعد، 343/2 والمعرفة والتاريخ، أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط2، مكتبة الرسالة، بيروت، 1401هـ، 542/2.

(2) طبقات ابن سعد، 351/2.

(3) علي بن المديني: كان من أئة الحديث الممتازين، لم يترك باباً من أبوابه إلا طرقه وخاصة ما يرجع إلى الرجال والعلل، وقد صنف في ذلك الكتب الكثيرة، (ت:234هـ)، انظر: تهذيب الأسماء 350/1.

عبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وابن عباس [1]. وقد ورث التابعون علمهم، وطرائقهم في البحث والاستنباط، وكانوا طرائق قدداً، فمنهم من توسع في التفسير تبعاً لتوسع شيخه، ومنهم من كان يحمله الورع، والاحتياط على الإقلال خوفاً من عدم الإصابة، اقتداء بنهج كثير من الصحابة الذين نقل العلم عنهم.

وطال الحديث في فضل أشهر رجال المدارس والحديث عن مدارسهم التي نهلوا منها وأخذوا عنها، فأردت في هذا المبحث أن أبين المنهج العام لكل مدرسة، وأبدأ بمدرسة مكة التي احتلت هذه المكانة في قلوب المؤمنين الساكنين، والثائبين إلى بلد الله الحرام، الحجاج والعُمّار والزوار، بل أخذت مكة بألباب كل مؤمن رآها، أو تمنى أن يراها، لقد كان العلم يسيراً بمكة زمن الصحابة، ثم كثر في أواخر عصرهم، وكذلك في أيام التابعين، وزمن أصحابهم، كابن أبي نجيح [2]، وابن جريح [3]، إلا أن مكة اختصت زمن التابعين بحبر الأمة، وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما الذي صرف جل همه، وغاية وسعه إلى علم التفسير، وربى أصحابه على ذلك، فنبغ منهم أئمة، كان لهم قصب السبق بين تلاميذ المدارس في علم التفسير، وقد تأثر بالمدرسة أيضاً رجال وأئمة لم يكونوا بمكة، لكن كانوا كثيري الترحال والمثابة لها،

(1) العلل لأحمد 43/2.

(2) ابن أبي نجيح: هو عبد الله بن أبي نجيح المكي، ثقة عند أحمد بن معين، والنسائي وأبو زرعة، انظر: مقدمة بن حجر، ص436.

(3) ابن جريح: هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح، الإمام العلامة، الحافظ شيخ الحرم، أبو خالد وأبو الوليد، القرشي الأموي المكي صاحب التصانيف أول من دون العلم بمكة، حدث عن عطاء بن أبي رباح، فأكثر وأجود، وعن بن أبي مليكة، ونافع، (ت: 150هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، 326/6-327.

كأبي العالية، وطاؤوس بن كيسان وغيرهم، فنشاط المدرسة المكية كان أوسع من أن يقتصر على بقعة واحدة، وبعد أن رحل ابن عباس عن مكة، لم يختف نوره فيها، وإنما قل نتاج تلاميذه، وزادت هيبتهم من التفسير ورحل بعضهم للآفاق، حتى جاء عصر أتباع التابعين، فدفعوا العجلة، وأكثروا من الرواية عن شيوخهم وظل العطاء يتواصل، حتى الطبقة التي تليهم، وفيما يلي بيان لأهم الأسباب التي أدت إلى تفوق المدرسة، أهم هذه الأسباب والأساس فيها إمامة ابن عباس رضي الله عنهما وأستاذيته لها، ولاشك أن ثمة أسباب أهلت ابن عباس رضي الله عنهما وقدمته على غيره من الصحابة في فهم القرآن، والقدرة على تأويله، وهي على الإجمال:

1/ دعاء النبي ρ له بالفقه في الدين والعلم والتأويل. ورأى النبي ρ فيه النجابة، والفطنة، والذكاء، فدعا له، ومن ذا الذي يدعو له النبي ρ بدعوة لا تصيبه؟ وابن عباس من هؤلاء الذين أصابتهم دعوته ρ حينما دعا له بقوله ρ: ((اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل))[1]، بل دعا له بالحكمة مرتين[2]، فاستجيبت تلك الدعوات المباركات الزاكيات، فكانت فتحاً لقلبه، ونبوغاً في عقله، وصواباً في رأيه، وحين نرجع إلى تأويله، نرى أثر هذه الدعوة النبوية جلياً، واضحاً في تقدمه بين الأصحاب، وسبقه في ميدان العلم بالقرآن وتفسيره، كما نشهد أثر ذلك في كثرة تعرضه للقرآن وتأويله[3].

2/ قرب منزلته من عمر رضي الله عنه: ولعل من الأسباب التي أعانت ابن عباس رضي الله عنهما وحثه وشجعه على التقدم في التفسير هي تلك العلاقة والعناية الخاصة التي حظي بها ابن عباس من عمر رضي الله عنه عن الجميع، فقد لمس عمر رضي الله عنه فيه مخايل النجابة، والذكاء، والفطنة، فكان يدنيه من مجلسه، ويقربه إليه، ويشاوره، ويأخذ برأيه فيما أشكل من الآيات، وابن عباس ما زال شاباً غلاماً،

(1) مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل (ت: 241هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوطي، ط 1، مؤسسة الرسالة، 1421هـ، 266/1.
(2) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة 846/2.
(3) الفتح لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة الغزالي، دمشق، مؤسسة الرسالة، (ب. ط)، 1379هـ، 100/7.

فكان لذلك الأثر البالغ في دفعه وحثه على التحصيل والتقدم، بل الإكثار في باب التفسير وغيره من أبواب العلم، فعن عامر الشعبي عن ابن عباس قال: قال لي أبي: يا بني أرى أمير المؤمنين يقربك، ويخلو بك، ويستشيرك مع إناس من أصحاب رسول الله ρ فلحفظ عني ثلاثاً، اتق الله لا تفشين له سراً، ولا يجربن عليك كذبة، ولا تغتابن عنده أحداً، وكان عمر يدخله مع أكابر الصحابة، وما ذلك إلا لأنه وجد فيه قوة الفهم، وجودة الفكر، ودقة الاستنباط[1].

3/ الأخذ عن كبار الصحابة: رأينا فيما مضى ذلك الأثر وتلك الصلة بين ابن عباس وعمر رضي الله عنهم وابن عباس لم يكتف بالأخذ عن عمر فحسب، وإنما حرص على سؤال بقية الصحابة، فعنه رضي الله عنهما، قال: لما قبض رسول الله ρ قلت لرجل من الأنصار هلم فنسأل أصحاب رسول الله ρ فإنهم اليوم كثير، قال: فقال: واعجباً لك يا ابن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك؟ وفي الناس من أصحاب رسول الله ρ من فيهم؟ قال: فتركت ذلك، وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله ρ عن الحديث فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل، فآتي بابه، وهو قائل: فأتوسد ردائي على بابه تسف الريح على التراب، فيخرج فيراني، فيقول لي: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟ فأقول: لا أنا أحق أن آتيك! فأسأله عن الحديث فعاش ذلك الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي ليسألوني، فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني[2].

ويقول رضي الله عنه عن نفسه: كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله ρ من المهاجرين والأنصار، فأسألهم عن مغازي رسول الله ρ وما نزل من القرآن في ذلك، وكنت لا آتي أحداً إلا سر بإتياني لقربي من رسول الله ρ فجعلت أسأل أبي بن كعب في العلم عما نزل من القرآن بالمدينة، فقال: نزل بها سبع وعشرون سورة وسائره بمكة[3].

4/ قوة اجتهاده، وقدرته على الاستنباط: كان رحمه الله يرجع في فهمه لمعاني الآيات للقرآن أولاً، فإن لم يكن؛ رجع إلى أقوال النبي ρ، فإن لم يكن؛ رجع إلى ما تلقاه من كبار الصحابة رضي الله عنهم فإن لم يكن؛ اجتهد رأيه وقد منَّ الله عليه بحظ وافر من

(1) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لابن أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: 430هـ)، دار السعادة، 1394هـ-1974م، 318/1، والمعرفة 533/1.

(2) طبقات ابن سعد 367/2، وسنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: فواز محمد رمزلي، ط1، دار الكتب العربية، بيروت، 1407هـ، 141/1.

(3) طبقات ابن سعد 371/2.

أدوات الاجتهاد، جعلته يتبوأ تلك المنزلة الرفيعة بين المفسرين من الصحابة، والتي تتمثل فيما يلي:

أ/ فهم تراكيب اللغة، وأسرارها.

ب/ معرفته بأيام العرب، وعاداتهم، وأنسابهم، وأشعارهم.

ج/ قوة الفهم وسعة الإدراك ببركة دعاء النبي ρ لذا كان ابن عباس يسمى البحر لكثرة علومه[1].

فجمع رضي الله عنه بين العلمين: الرواية، والدراية، وكان له نصيب وافر من كليهما، ولذا لما سئل عن علمه كيف حصله؟ قال: بلسان سؤول وقلب عقول [2]، وعن عبيد الله بن أبي يزيد [3]، قال: كان ابن عباس إذا سئل عن الأمر فإن كان في القرآن أخبر به، وإن لم يكن في القرآن وكان عن رسول الله ρ أخبر به، فإن لم يكن في القرآن، ولا عن رسول الله ρ، وكان عن أبي بكر وعمر أخبر به، فإن لم يكن في شيء من ذلك اجتهد رأيه[4].

5/ اهتمامه بالتفسير: مع كثرة علوم ابن عباس رضي الله عنهما وتعدد معارفه إلا أنه صرف في علم التفسير عنايته، وأفرغ فيه جهده، ويبدو ذلك واضحاً في شهرة مدرسته به، ثم بانشغال أكثر أصحابه به، والناظر في كتب الآثار يجد المروي عنه كثيراً في التفسير خاصة، مما يدل على عظيم احتفائه به، وكثرة اشتغاله بهذا العلم، وهذا من أسباب تقدمه وسبقه في هذا الفن، وقد كان أقرانه من الصحابة يحيلون السائل عن مشكل القرآن إلى ابن عباس، فهذا ابن عمر رضي الله عنهما عندما سئل عن قوله تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭼ [الأنبياء : 30] ، قال أذهب إلى ذلك الشيخ فأسأله، ثم تعال فأخبرني ما قاله، فذهب إلى ابن عباس فسأله،

(1) الحلية 316/1، وتاريخ بغداد 174/1.

(2) فضائل الصحابة لأحمد 970/2.

(3) عبيد الله بن أبي يزيد: المكي مولى بني كنانة حلفاء بني زهرة حدث عن ابن عباس، وابن عممر وعبد الله بن الزبير وغيرهم، وهو ثقة على علي بن المديني وغيره، وهو من كبار مشيخة بن عيينة، وعمرو بن دينار، وزياد بن علاقة وغيرهم، (ت: 126هـ)، سير أعلام النبلاء، 242/5.

(4) طبقات ابن سعد 366/2.

فقال ابن عباس: كانت السموات رتقاً لا تمطر، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت، ففتق هذه بالمطر، وفتق هذه بالنبات، فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره، فقال: إن ابن عباس قد أوتي علماً صدق، هكذا كانتا، ثم قال ابن عمر قد كنت أقول: ما يعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه أوتي علماً[1].

6/ منهج ابن عباس رضي الله عنهما التعليمي مع أصحابه: تميز رضي الله عنه بمنهج تعليمي خاص مع أصحابه، اتسم بالحرص على بث روح الثقة في نفوسهم، والتشجيع لهم للتصدي لأداء ما علموه وإبلاغه، وقد انفرد في هذا المنهج بالعديد من الأساليب من أهمها:

أ/ الحرص على تحصيلهم، وتلقيهم للعلم، وإلزامهم بذلك، فكان يربط في رجل مولاه عكرمة الكبل على تعليمه[2].

ب/ تدريبهم بحضرته على الأداء، والإفتاء للاطمئنان عليهم، فبعد أن علم أهليتهم كان يحرضهم على الإفتاء بحضرته لما فيه من تشجيعهم وتنشيطهم على تحصيل العلم وإبلاغه، فعن مجاهد عن ابن عباس أنه قال لابن جبير: حدث، قال: أحدث وأنت شاهد؟ قال: أوليس من نعمة الله عليك أن تحدث وأنا شاهد؟ فإن أخطأت علمتك[3].

ج/ وكان بعد الاطمئنان على علمهم، يأمرهم بالانطلاق لتعليم الناس وافتائهم، فعن عكرمة قال ابن عباس لي: انطلق فأفت الناس وأنا لك عون، قلت لو أن مع الناس مثلهم مرتين لافتيتهم، ثم قال: قال ابن عباس: انطلق فأفتهم فمن جاءك سألك عما يعنيه فأفته، ومن سألك عما لا يعنيه فلا تفته فإنك تطرح عنك ثلثي مؤنة الناس[4].

(1) الحلية 320/1.
(2) سنن الدارمي 139/1، والمعرفة 5/2.
(3) طبقات ابن سعد 256/6. وتهذيب الأسماء 216/1.
(4) تهذيب الكمال 269/2، وفيات الأعيان 265/3.

7/ حرصه على نشر علمه: يقول ابن أبي مليكة[1]: دخلت على ابن عباس رضي الله عنهما فقال: إن أصبحت طيب النفس فسلوني، عن أشياء من سورة البقرة وسورة يوسف يخصهما من بين السور، قال: فولينا المسألة رجلاً فلم يكن عنده شيء[2]، وكان رضي الله عنهما يتمنى لو علم الناس ما يعلم من القرآن[3].

8/ رحلاته وأسفاره: تنقل رضي الله عنه في البلاد مبلغاً، مجاهداً، باللسان والسنان، فسافر إلى العراق واستعمله علي رضي الله عنه على البصرة[4]. وكان رضي الله عنه يغشى الناس بالبصرة في شهر رمضان فما ينقضي حتى يفقههم[5].

9/ تأخر وفاته: توفى رضي الله عنه وأرضاه في الطائف [6] سنة 68هـ فحصل الكثير من العلم، وزاد من الحاجة إليه ولاسيما في مكة، التي كان العلم بها يسيراً في زمن كبار الصحابة وكثر في عهد صغارهم[7].

المبحث الرابع
اختلاف المفسرين تطبيقاً على سورة النجم

قال تعالى: چ ﭑ ﭒ ﭓ چ [النجم : 1] .

(1) ابن أبي مليكة: هو أبوبكر وأبو حمد عبد الله بن عبيد الله بن مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان القرشي التميمي المكي قاضي مكة، روى عن عائشة، وأم سلمة، وعبد الله بن عمر بن العاص، انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي 101/1.
(2) المعرفة والتاريخ 492/1.
(3) حلية الأولياء 322/1.
(4) تهذيب الأسماء 276/1.
(5) الإصابة 334/2.
(6) المصنف لابن أبي شيبة 328/3، والمعرفة 518/1.
(7) الأمصار ذوات الآثار، ص156.

يعني بالنجم إذا سقط مع الفجر [1]. وهذا يروى عن ابن عباس وسفيان الثوري[2] واختاره ابن جرير، وقال ابن عطية: أقسم الله تعالى بهذا المخلوق تشريفاً له وتنبيهاً منه ليكون معتبراً فيه، حتى تؤول العبرة فيه إلى معرفة الله تبارك وتعالى، أما هوى بمعنى نزل، وفي هذا الهويّ بُعد وتحامل على اللغة، ونظير هذه الآية قوله تعالى: چى ى ي ي چ[الواقعة : 75] واختلف القائلون في معنى (هوى) فقال جمهور المفسرين: هوى للغروب، وهذا هو السابق إلى الفهم من كلام العرب، وقال الحسن بن أبي الحسن، وأبو حمزة اليماني: هوى عند الإنكدار في ال قيامة فهي بمعنى قوله تعالى: چ ٻ پ پ چ [الانفطار : 2] . وقال ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب الثعلبي هوى في انقضاض في أثر العفرية [3]. وهي رجوم الشياطين، وهذا القول تسعده اللغة، والتأويلات في (هوى) محتملة وكلها قوية[4].

وقال الطبري اختلف أهل التأويل في تأويل (ٱ ٻ ٻ) فقال بعضهم عني بالنجم الثريا، إذا سقطت، وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد إذا سقطت الثريا مع الفجر.

وقال آخرون معنى ذلك القرآن إذا نزل [5]. وهذا على غير الظّاهر، وهو غير اختياره.

ويرى الباحث أن أرجح الأقوال في (ٱ ٻ ٻ) سقوط الثريا مع الفجر وهو الذي قال به ابن عباس واختاره ابن جرير. وأكثر الأدلة تحوم حول سقوط الثريا مع الفجر. واختار هذا القول أكثر التابعين كمجاهد وعبيد لقوة دلالته والله أعلم.

قال تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ڈ چ[النجم : 5]

وهو جبريل عليه الصلاة والسلام، كما قال تعالى: چڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ چ[التكوير : 16-21] وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ذو منظر حسن، وقال قتادة: ذو خلق طويل حسن، ولا منافاة بين القولين، فإنه

---

(1) تفسير ابن كثير، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت:774هـ)، ص247.

(2) سفيان الثوري هو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي الإمام الكبير أحد الأعلام، توفى بالبصرة سنة 161هـ، انظر: الطبقات للجزري، 308/1.

(3) العفرية من الرجال: هو النافذ في الأمر المبالغ فيه مع خبث ودهاء، وجمعها عفاريت والتاء الزائدة أصلها هاء، معجم تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، (ت:370هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ-2001م، 24/3، 97.

(4) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي عبد الحق بن عطية الأندلسي، ج 14، ط1، 1411هـ-1991م، ص80-82.

(5) جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت:310هـ)، ج27، ص43.

عليه السلام ذو منظر حسن وقوة شديدة[1].

وقال ابن جرير (ٹ ٹ ٹ) يقول تعالى: ذكره علم محمداً ρ هذا القرآن جبريل عليه السلام، وهو شديد الأسباب والقوى، جمع قوة، قال أهل التأويل عن قتادة أنه قال عني بذلك جبريل عليه السلام، واختلف أهل التأويل في چ ں چ فقال: بعضهم قال ذو خلق حسن، وقال ابن عباس ذو منظر حسن، وقال قتادة ذو خلق طويل حسن، وقال آخرون ذو قوة، وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال عني بالمرة صحة الجسم وسلامته من الآفات والعاهات، والجسم إذا كان كذلك من الإنسان، كان قوياً[2].

قال تعالى: چ ڤ ڤ ڤ چ [النجم : 7]

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ρ لم ير جبريل في صورته إلا مرتين أما واحدة فإنه سأله أن يراه في صورته فسد الأفق[3].

وأما الثانية فإنه كان معه فذلك قوله: چ ڤ ڤ ڤ چ وقول ثالث عن وهب بن منبه عن ابن عباس قال: ((سأل النبي ρ جبريل أن يراه في صورته فقال ادع ربك فدعا ربه عز وجل فطلع عليه سواد من قبل المشرق فجعل يرتفع وينتشر فلما رآه النبي ρ صعق فأتاه فنعشه ومسح البزاق عن شدقه))[4]، تفرد به أحمد.

وقال النسفي: چ ڤ ڤ ڤ چ هو أفق الشمس، فملأ الأفق وهو جبريل عليه السلام، والأفق الأعلى مطلع الشمس چ ڃ ڃ چ) جبريل من رسول الله ρ چ ڃ ڃ چ زاد في القرب، والتدلي هو النزول بقرب الشيء [5] چ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ [النجم : 9] عن زر بن حبيش قال عبد الله بن مسعود في هذه الآية: قال رسول الله ρ: ((رأيت جبريل له ستمائة جناح))[6]. چ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ مقدار قوسين عربيتين، وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع، ومنه لا صلاة إلى أن ترفع الشمس مقدار رمحين[7]، وفي الحديث لقاب قوس أحدكم في الجنة موضع قدمه خير من الدنيا وما فيها [8].والقد السوط، وتقدير فكان مقدار مسافة قربه مثل (قوسين)

(1) تفسير ابن كثير، ص248.
(2) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، ص45-46.
(3) تفسير ابن كثير، ج4، ص248-249.
(4) مسند الإمام أحمد، حديث رقم (2565)، 342/4.
(5) تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل، وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمد.
(6) تفسير ابن كثير ج4، ص251، النسفي ج3، ص5، دار الكتاب العربي، بيروت، ص433.
(7) المستدرك على الصحيحين، كتاب الطهارة، حديث رقم (584)، 268/1.
(8) مسند الإمام أحمد، حديث رقم (12603)، 53/20.

فحذفت هذه الإضافات چ ڇ ڇ ڇ چ أي على تقديركم، كقوله أو يزيدون، وهذا لأنهم خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وهم يقولون هذا على قدر رمحين أو أنقص[1].

ويرى الباحث أن اختلاف المفسرين في هذه الآيات اختلاف تنوع.

قال تعالى: چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک کچ [النجم : 11-13] .

عن أبي العالية عن ابن عباس قال رآه بفؤاده مرتين، وكذا ما رواه السماك عن عكرمة مثله، وكذا أبو صالح والسدي وغيرهما إنه رآه بفؤاده مرتين أو مرة، وقد خالفه ابن مسعود وغيره وفي رواية عنه أنه أطلق الرؤية وهي محمولة على المقيدة بالفؤاد، ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة رضي الله عنهم[2]؛ وقال البغوي في تفسيره ذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه وهو قول أنس والحسن وعكرمة، وفيه نظر والله أعلم.

وقال مسروق: دخلت على (عائشة رضي الله عنها) فقلت هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد تكلمت بشيء وقف له شعري فقلت رويداً ثم قرأت: چ ہ ہ ہ ہ ھ ھ چ.[النجم : 18] فقالت: أين يذهب بك إنما هو جبريل، من أخبرك أن محمد رأى ربه أو كتم شيئاً مما أمر به أو يعلم الخمس التي قال الله فيها: چ ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ چ.[لقمان: 34] فقد أعظم على الله الفرية ولكنه رأى جبريل لم يره في صورته إلا مرتين، مرة عند سدرة المنتهى ومرة في أجياد وله ستمائة جناح قد سد الأفق[3]؛ وعن محمد بن كعب قال قالوا يا رسول الله هل رأيت ربك؟ قال رأيته بفؤادي مرتين، ثم قرأ: چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ چ وعن محمد بن كعب عن بعض أصحاب النبي ρ قال قلنا يا رسول الله هل رأيت ربك؟ قال لم أره بعيني ورأيته بفؤادي مرتين[4].

(1) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي، 433/3.
(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 25/4-252.
(3) أخبار مكة للفاكهي، حديث رقم (2306)، 386/1.
(4) صحيح مسلم، باب ذكر سدرة المنتهى، حديث رقم (449)، 331/1.

قال عكرمة عن ابن عباس قال: (إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة، واصطفى موسى بالكلام، واصطفى محمداً بالرؤية صلوات الله عليهم، وعن أبي العالية عن ابن عباس في تفسير (ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ) قال رآه بفؤاده، وعن مهران عن أبي جعفر [1] عن الربيع قال رأى محمد ربه بفؤاده، ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ اختلف القراء في قراءة افتمارونه، فقرأ ذلك عبد الله بن مسعود وعامة أصحابه (فتمرونه) بفتح التاء بغير ألف، وهي قراءة عامة أهل الكوفة، ووجهوا تأويله إلى افتجحدونه، ومن قرأ افتمارونه بضم التاء والألف بمعنى افتجادلونه، وقرأ ذلك عامة قراء المدينة ومكة والبصرة وبعض الكوفيين، والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان صحيحتا المعنى، وذلك أن المشركين قد جحدوا أن يكون رسول الله ρ رأى ما أراه الله ليلة الإسراء وجادلوه في ذلك، وتأويل الكلام أتجادلون أيها المشركون محمداً على ما يرى مما أراه الله من آياته[2].

قال تعالى: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ [النجم : 16]

قال أبي السعود (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ) ظرف زمان لرآه لا لما بعده من الجملة المنفية كما قيل فإن ما النافية لا يعمل بعدها فيما قبلها، والغشيان بمعنى التغطية والستر، ومنه الغواشي، أو بمعنى الإتيان، يقال فلان يغشاني كل حين أي يأتيني، والأول هو الأليق بالمقام وفي إبهام ما يغشى من التفخيم ما لا يخفى وتأخيره عن المفعول للتشويق إليه، وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها، وقيل يزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة، وقيل يغشاها سبحات أنوار الله عز وجل حين يتجلى لها كما يتجلى للجبل لكنها أقوى من الجبل وأثبت حيث لم يصبها

(1) أبو جعفر هو: أحمد بن إبراهيم بن الزبير، بن محمد بن إبراهيم بن عاصم بن مسلم بن كعب العلامة أبو جعفر الأندلسي الحافظ النحوي، ولد سنة 627هـ، كان ثقة قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قامعاً لأهل البدع، (ت: 708هـ)، انظر: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لابن حجر العسقلاني،89/1.

(2) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، ج27/52-53.

ما أصابه من الدك، وقيل يغشاها فراش من ذهب أو جزء من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك[1].

ويرى الباحث أن صاحبي [2] المدرستين اتفقا في تفسير هذه الآية المدرسة المكية والكوفية.

قال تعالى: چ ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ چ [النجم : 17] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما قال ما ذهب يميناً وشمالاً (ڻ ۀ) ما جاوز ما أمر به، وهذه صفة عظيمة في الثبات والطاعة فإنه ما فعل إلا ما أمر به ولا سألف فوق ما أعطى[3].

قال الطبري: ما مال بصر محمد يعدل يميناً ولا شمالاً عما رأى، ولا جاوز ما أمر به، فارتفع عن الحد الذي حد له، وقال ابن عباس ما زاغ يميناً ولا شمالاً ولا طغى ولا جاوز ما أمر به، وعن محمد بن كعب القرظي قال رأى جبريل في صورة الملك، وعن مسلم بن بطين عن ابن عباس قال ما زاغ، أي ما ذهب يميناً ولا شمالاً، ولا طغى ما جاوز[4].

وقال النسفي بصر رسول الله ρ ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها ومكن منها، وما جاوز ما أمر برؤيته[5].

ويرى الباحث أن المفسرين كان اختلافهم في هذه اختلاف تنوع.

قال تعالى: چ ھ ے ے چ [النجم : 19] .

قال ابن عباس كان اللات رجلاً يلت السويق أي سويق الحج في الجاهلية فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه[6].

قال الثعالبي في تفسيره أفرأيتم هذه الأوثان وحقارتها وبعدها عن هذه القدرة والصفات العلية، واللات صنم كانت العرب تعظمه، والعزى صخرة بيضاء كانت العرب أيضاً تعبدها، وأما مناة فكانت المشلل من قديد وكانت أعظم هذه الأوثان عندهم، وكانت الأوس والخزرج تهل لها ووقف تعالى الكفار على هذه الأوثان وعلى

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لقاضي القضاة الإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي، (ت: 951هـ)، دار المصحف، القاهرة، 157/8.
(2) الصحابيان الجليلان ابن مسعود وابن عباس.
(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج254/4.
(4) جامع البيان في تأويل القرآن.
(5) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ج434/27.
(6) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، 255/4.

قولهم فيها أنها بنات الله، فكأنه قال: أرأيتم هذه الأوثان، وقولكم هي بنات الله ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ [النجم : 21]. ثم قال تعالى على جهة الإنكار تلك قسمة ضيزا عوجاء، وقال ابن عباس جائرة[1]، قال الطبري في تفسير أفرأيتم أيها المشركون اللات، وهي من الله ألحقت فيه التاء فأنثت، كما قيل عمرو للذكر، ثم قيل للأنثى عمرة، كما قيل للذكر عباس، ثم قيل للأنثى عباسة، فكذلك سمي المشركون أوثانهم بأسماء الله تعالى ذكره، وتقدست أسماؤه، فقال من الله اللات، ومن العزيز العزى، وزعموا أنهن بنات الله، تعالى الله عما يقولون وافتروا، فقال جل ثناؤه لهم، أفرأيتم أيها الزاعمون أن اللات والعزى ومناة الثالثة بنات الله (ﯓ ﯔ) أتختارون لأنفسكم الذكر من الأولاد، وتكرهون لها الأنثى، وتجعلون (ﯔ ﯕ) التي لا ترضونها لأنفسكم ولكنكم تقتلونها كراهة منكم لهن[2].

ويرى الباحث أن المفسرين لم يختلفوا في هذه الآيات اختلاف تضاد بل اختلافهم اختلاف تنوع.

قال تعالى: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ [النجم : 32] .

قال طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ρ، قال: إن الله تعالى كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه[3]، وقال ابن عباس: (ﮗ ﮘ) إلا ما سلف، وقال العوفي عن ابن عباس (ﮗ ﮘ) كل شيء بين الحدين حد الدنيا وحد الآخرة، تكفره الصلوات فهو اللمم، وهو دون موجب، فأحد الدنيا فكل حد فرض الله عقوبته في الدنيا، وأما حد الآخرة فكل شيء ختمه الله بالنار وآخر عقوبته إلى الآخرة.

وقال الأعمش[4] عن أبي الضحى أن ابن مسعود قال: زنا العينين النظر، وزنا وزنا الشفتين التقبيل، وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين المشي، ويصدق ذلك الفرج

(1) جواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي: هو عبد الرحمن بن أحمد الجزائري المغربي المالكي المعروف بالثعالبي، ج226/4.

(2) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، 62/27.

(3) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، باب قدر الله على ابن آدم حظه من الزنا، ح رقم (5544)، 212/3.

(4) الأعمش هو: سليمان بن مهران الأسدي الكوفي، ثقة حافظ عارف بالقراءة، من شيوخه نافع والشعبي، من تلاميذه السفياناني، تهذيب التهذيب، 195/4.

أو يكذبه، فإن تقدم بفرجه كان زانياً، وإلا فهو اللمم، وكذا قال مسروق والشعبي[1].

وقال صاحب تفسير القرآن الكريم عبد الله شحاته: من سعة رحمة الله وفضله أن يمدح عباده المتقين، وأن يصفهم باجتناب كبائر الذنوب، مثل السحر واليمين الغموس، والتولى يوم الزحف، وأكل الربا، وعقوق الوالدين، وهم يبتعدون عن الفواحش، جمع فاحشة، وهي ما تناهى قبحها عقلاً وشرعاً كالزنا والسرقة والقتل، إلا ما قل وصغر من الذنوب، وقال القرطبي وهي الصغائر التي لا يسلم من الوقوع فيها إلا من عصمه الله كالقبلة والغمزة والنظر، وذكر ابن عباس الحديث السابق عن أبي هريرة ما رأيت شيئاً أشبه باللمم إلى الأخر[2].

ويرى الباحث أن أصحاب المدرستين المكية والكوفية اتفقا في تفسير هذه الآية واختلافهم اختلاف تنوع.

قال تعالى: چ ٻ ٻ ٻ ٻ ڀ چ.[النجم : 34]

قال ابن عباس أطاع قليلاً ثم قطعه، وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة وغير واحد[3].

وقال صاحب كتاب فتح القدير: أعطى عطاء قليلاً وأعطى شيئاً قليلاً وقطع ذلك وأمسك عنه، وأصل أكدى من الكدية وهي الصلابة، يقال لمن حفر بئراً ثم بلغ فيها إلى حجر لا يتهيأ له فيه حفر قد أكدى، ثم استعملته العرب لمن أعطى فلم يتم، ولمن طلب شيئاً فلم يبلغ آخره[4].

وقال ابن عطية في هذه الآية: هو في المال، وأعطى من نفسه قليلاً في قربه من الإيمان، ثم أكدى، أي انقطع ما أعدى، وهذا بين من اللفظ، والمراد هنا عن أمر الله تعالى: (د) معناه انقطع عطاؤه، وهو مشبه بالحافر في الأرض، فإنه إن انتهى إلى كدية، وهي ما صلب من الأرض، وقف وانقطع حفره، وكذلك أجبل الحافر إذا انتهي إلى جبل، ثم قيل لمن انقطع عمله أكدى وأجبل[5].

ويرى الباحث أن المفسرين لم يختلفوا في هذه الآية إلا اختلاف قليلاً في

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 257/4.
(2) تفسير القرآن الكريم للدكتور/ عبد الله شحاته، دار غريب، القاهرة،5481/27.
(3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 259/4.
(4) فتح القدير الجامع بين فنيي الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: 1250هـ)، دار الفكر للطباعة،113/5-114.
(5) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، ط1، 1411هـ-1991م، 117/15.

الألفاظ وهو اختلاف تنوع والمعنى واحد.

قال تعالى: چ ثى ثي جحجم چ [النجم : 42].

أي المعاد يوم القيامة؛ عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب عن النبي ρ قال: (لا فكرة في الرب) [1] وهذا مثل ما روى عن أبي هريرة مرفوعاً (تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنه لا تحيط به الفكرة) [2]. وحديث آخر في السنن (تفكروا في مخلوقات الله ولا تفكروا في ذات الله فإن الله خلق ملكاً ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة ثلاثمائة سنة)[3].

وقال الألوسي في تفسير هذه الآية أي انتهاء الخلق ورجوعهم إليه تعالى لا إلى غيره سبحانه استقلالاً ولا اشتراكاً، والمراد بذلك رجوعهم إليه يوم القيامة حين يحشرون، ولهذا قال غير واحد: أي إلى حساب ربك أو إلى ثوابه تعالى من الجنة وعقابه من النار الانتهاء: المعنى أنه عز وجل منتهي الأفكار فلا تزال الأفكار تسير في بيداء حقائق الأشياء وماهيتها والإحاطة بما فيها حتى إن وجهت إلى حرم ذات الله عز وجل، وحقائق صفاته وقفت وحرنت وانتهى سيرها [4]. وذكر الألوسي الحديث السابق عن أبي بن كعب عن النبي ρ (لا فكرة في الرب) وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال مر النبي ρعلى قوم يتفكرون في الله فقال: تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنكم لن تقدروه) [5]. وقال الطبري في تفسير الآية: وإن إلى ربك يا محمد انتهاء جميع خلقه ومرجعهم، وهو المجازي جميعهم بأعمالهم صالحهم وطالحهم ومحسنهم ومسيئهم[6].

ويرى الباحث أن المفسرين اتفقوا في تفسير معنى هذه الآية واختلافهم اختلاف تنوع، وخاصة المدرسة المكية والمدنية، اتفقتا على عدم التفكير في ذات الله بل التفكير في مخلوقات الله.

قال تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ چ [النجم : 49].

---

(1) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج260/4.

(2) صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن باب وظل ممدود، حديث رقم (4881)، 146/6.

(3) كنز العمال في سنن الأقوال، باب خلق الملائكة حديث رقم (15158)، 137/6.

(4) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود شكري الألوسي البغدادي (ت: 1270هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط4، 1405هـ-1985م، ح68/27.

(5) كنز العمال في سنن الأقوال، حديث رقم (5705)، 106/3.

(6) جامع البيان للطبري، 78/15.

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم هو هذا النجم الوقاد الذي يقال له مرزم الجوزاء كانت طائفة من العرب يعبدونه[1].

وقال ابن جرير الطبري في هذه الآية وأن ربك يا محمد هو رب الشعرى، يعنى بالشعرى النجم الذي يسمى هذا الاسم، وهو نجم كان بعض أهل الجاهلية يعبده من دون الله، وقال ابن عباس هو الكوكب الذي خلف الجوزاء، كانوا يعبدون، وقال مجاهد هو نجم كان يعبد في الجاهلية، وقال سعيد عن قتادة كان حي من العرب يعبدون الشعرى هذا النجم الذي رأيتم، وقال ابن وهب وابن زيد كانت تعبد في الجاهلية، فقال الله لهم تعبدون هذه وتتركون ربها؟ أعبدوا ربها قال والشعرى: النجم الوقاد الذي يتبع الجوزاء يقال له المرزم[2].

وقال أبي السعود هذه الآية أي رب معبدوهم وهي العبور وهي أشد ضياء من العميصاء وكانت خزاعة تعبدها حسن لهم ذلك أبو كبشة رجل من أشرافهم[3].

ويرى الباحث أن المفسرين اتفقوا في معنى هذه الآية واختلافهم في الألفاظ اختلاف تنوع.

قال تعالى: چ ۀ ۀ چ [النجم : 61]

قال سفيان الثوري عن ابن عباس قال الغناء وهي يمانية أسمو لنا غني لنا وكذا قال عكرمة، وفي رواية عن ابن عباس سامدون معرضون وكذا قال مجاهد وعكرمة وقال الحسن غافلون، وهو رواية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفي

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 261/4.
(2) تفسير الطبري ج15.
(3) إرشاد العقل السليم في مزايا القرآن الكريم لأبي السعود164/8.

رواية عن ابن عباس تستكبرون، وبه يقول السدي، ثم قال تعالى آمراً لعباده بالسجود له والعبادة المتابعة لرسوله ρ والتوحيد والإخلاص چ ۇ ۆ ۆ ۈ چ.[النجم : 62] فاخضعوا له وأخلصوا ووحدوه[1]. وفي البخاري عن عكرمة عن ابن عباس قال سجد النبي ρ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس انفرد به مسلم[2].

وقال ابن عطية في تفسير هذه الآية (السامد اللاهي واللاعب) وبهذا فسر ابن عباس وغيره من المفسرين، وسمد بلغة حمير غني وهو معنى كله قريب من بعض[3].

وقال فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية (ۉ ې) أي غافلون، وذكر الله الفاعل، لأن الغفلة دائمة، وأما الضحك والعجب فهما أمران يتحددان ويعدمان (ۇ ۆ ۆ) يحتمل أن يكون الأمر عاماً، ويحتمل أن يكون التفاتاً، فيكون كأنه قال: أيها المؤمنون اسجدوا شكراً على الهداية، واشتغلوا بالعبادة ولم يقل اعبدوا الله، إما لكونه معلوماً، وإما لأن العبادة في الحقيقة لا تكون إلا لله، فقال (ۆ) أي ائتوا بالمأمور ولا تعبدوا غير الله[4].

ويرى الباحث أن المفسرين اتفقوا في معنى هذه الآية على العموم واختلافهم في الألفاظ اختلاف تنوع.

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، 4/261-262.
(2) الجمع بين الصحيحين فيما انفرد به البخاري، حديث رقم (1158)، 2/108.
(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، 5/210.
(4) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين محمد ابن عمر ابن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ-1990م، 15/24.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، فقد تم بحمد الله بحثي هذا ووصل إلى خاتمته التي تشتمل على النتائج والتوصيات.

أولاً: النتائج:

والتي من أهمها:

تفسير الصحابة:

1/ إن تفسير الصحابة لهو خير مراتب التفسير، إذ جاء في المرتبة الثالثة من أركان التفسير وطرق مآخذه التي يؤخذ منها، فإن أغلب أقوالهم في التفسير هي بمنزلة المرفوع إلى النبي ρ، وبالأخص فيما لا دخل للرأي فيه، ولأن القرآن الكريم أنزل على لغتهم فالغلط أبعد عنهم من غيرهم.

2/ إن الصحابة الكرام وعلى رأسهم مؤسسو هذه المدارس كانوا أوفياء لدينهم ومخلصين لكتابهم فلم يدخروا وسعاً في الحالتين، أخذاً وعطاءً وذلك للآتي:

أ/ إنهم نقلوا ما أخذوه عن النبي ρ وما أخذوه من مشايخهم من كبار الصحابة كالخلفاء الراشدين.

ب/ إنهم اجتهدوا، في بعض الآيات ، فاستعملوا رأيهم بحكم القرائن ومقتضى الشرع وبالسليقة العربية وهم أهلها.

ج/ إنهم كانوا وقافين عند حدود الشرع رجاعين إلى الحق لا يعرفون التعصب ولا الإصرار على الخطأ.

د/ إنهم كانوا نموذجاً حياً ومرآة صادقة لخير القرون فكانوا مضرب المثل في الاقتداء بالنبي ρ تعليماً وتطبيقاً.

هـ/ إن كثيراً مما يظن اختلافاً هو في الحقيقة ليس كذلك بل يمكن جمعه من عدة وجوه.

و/ إنهم لا يحبون التكلف في استجلاب المعاني وإنما يكتفون بالمعنى الإجمالي العام وقد يتطرقون للمعنى اللغوي إذا اقتضى الأمر دون توسع.

3/ إن مدارس التفسير وإن كانت متداخلة إلا أن كل مدرسة لها طابعها الخاص وصبغتها التي تميزها وأنها كلها عكست الوجه الصحيح للعصر العلمي العملي من أصل العلوم الشرعية.

تفسير التابعين:

1/ إن التابعين عموماً وطلاب هذه المدارس خصوصاً ضربوا أروع الأمثلة تعليماً وتعلماً وتحملوا المشاق فقطعوا المفاوز بالصبر والمصابرة، فكانوا مرآة عاكسة صادقة لجيلهم وشاهد حق لقرنهم ونموذجاً حياً لعصرهم.

2/ لم يكن الفارق كبيراً بين منهج الصحابة الكرام والتابعين لهم، لكونهم تلقوه من الصحابة فورثوا عنهم العلم والورع والعفة وقلة الخوض إلا فيما لهم به من علم، وأما الفوارق البسيطة فسببها:

أ/ اتساع دائرة الإسلام وانتشار العلم لدخول أمم شتى ذات أفكار ومنازع متعددة.

ب/ انتشار الروايات الإسرائيلية لدخول كثير من أهل الكتاب في الإسلام ومعهم خلفيات من الكتب قبل القرآن الكريم.

ج/ كثرت الاختلافات وتعددت الأقوال في الآية الواحدة وأحياناً في الكلمة الواحدة.

ثانياً: التوصيات:

أوصى نفسي وزملائي الباحثين وطلاب العلم بالتالي:

1/ ضرورة البحث واستقصاء الدراسة في القرآن وعلومه، خاصة الدراسات المتعلقة بتفسير القرآن الكريم.

2/ ضرورة الاهتمام بمدارس التفسير ومعرفة أعلامها الذين نشأوا على قيم الإيمان ومبادئ الإسلام.

3/ الاهتمام بالتفسير الموضوعي وتقصي دقائق الموضوعات لتيسير استيعابها وتطبيقها على واقع المجتمع اليوم الذي كلت همته وقلَّ صبره لتحصيل المعرفة.